٧/٢: الوقت النسائي: أياً ما كانت الاتجاهات والجدالات والثقافات، فدائماً وأبداً ما يكون الدور الفطرى الرئيسي للمرأة هو رعاية جميع أفراد الأسرة وإدارة شئونها والاضطلاع بأعمال الطهو وتنظيف المنزل وترتيبه وتربية الأطفال وتقديم الغذاء المناسب لهم. وعلى الرغم من كل محاولات عكس الأمور البشرية (المعدولة) والتي وصلت مبالغاتها إلى السعى إلى جعل الرجل يحمل بدلاً من زوجته تذرعاً بشعارات المساواة النوعية الاستفزازية، فمازالت المرأة تحمل في جزء أساسى من جسدها وعاء التغذية الأول للمولود. وقد ثبت أن كل البدائل الغذائية للبن الأم الذى ترضعه لوليدها فى بداية حياته تتضمن الكثير من الأضرار المتنوعة (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٨-٢٠). وفى نفس الوقت، فمع مرور الزمن، أصبح خروج المرأة إلى ميدان العمل ومشاركتها في إدارته أمراً مسلماً به، وأصبحت ممارسة المرأة للعمل الاقتصادى فى بعض الأحيان ضرورة ملحة خاصة مع تزايد نسب النساء اللاتي يعلن أنفسهم أو يعلن آخرين، وتزامن ذلك مع ارتفاع معدلات الطلاق والعنوسة وأيضاً زيادة معدلات تعليم الإناث المقترن بتنامى الطموح الأنثوى فى مجالات الأعمال والأنشطة المختلفة.

وبناء عليه، فعلى خلاف الوضع مع الرجل، أصبح على المرأة أن تقسم وقتها وتوزعه بين ثلاث قنوات: أعمال المنزل ورعاية أفراده، والعمل الاقتصادي، والراحة أو الفراغ الذى يمكنها من خلاله الوفاء

بحاجاتها الشخصية البحتة وإستعادة قواها ونشاطها اللازمين للتمكن من الاستمرار فى إدارة رحى عملها الشاق المزدوج.

وسوف يتركز اهتمامنا على بحث عملية تخصيص الوقت للمرأة العاملة على افتراض أن المرأة غير العاملة تتشابه حالتها مع الرجل العامل فى أنها تخصص وقتها بين بندين اثنين مثله: العمل (وهو فى تلك الحالة ما تقوم به من أعمال منزلية)؛ والراحة أو الفراغ الذي يتم قضائه في أمور أخرى مثل النوم وتناول الطعام والترفيه ...الخ. واتفاقاً مع ما ذكره رونالد إيرنبرج وروبرت سميث (١٤١٤هـ/١٩٩٤م، صـ٢٢٦)، فسوف نعتبر العمل أو الإنتاج نظير أجر أو عائد الذى يتم إنجازه خارج المنزل سواء مثل نظيره الذي يتم داخل المنزل، وذلك مع تحفظنا على أن الأخير يمنح صاحبه بعض الامتيازات فى توفير جزء لا يستهان به من الوقت الذى يستغرق فى القيام بأعمال أخرى ترتبط بشكل شبه حتمي ـ بالعمل خارج المنزل مثل الوقت المستغرق فى الانتقال اليومي من المنزل إلى مكان العمل الخارجى والعكس. والتمتع فى حالة العمل داخل المنزل بوجود وقت مشترك متداخل يمكن القيام فيه بأعمال متداخلة تخص الكسب والمنزل معاً (مثل العمل في إعداد الوجبات الجاهزة وتسويتها واقتطاع جزء منها لأفراد العائلة وإنتاج الملابس الجاهزة وتخصيص جزء من المتبقى منها لأفراد العائلة، وكذلك مثل قيام الأم بإرضاع طفلها في ذات الوقت الذي تمارس فيه عملها الاقتصادى).

ومن الملحوظات الطريفة التى نود أن نبدأ بها في هذا الصدد، أن الغالبية العظمى من الدراسات التي تناولت عنصر الوقت وأثره على الأداء الوظيفى النسائى وعلى حياة المرأة ومن يرتبطون بها بشكل مصيرى، كانت دائماً ما تركز على نوعين فقط من الوقت، الوقت المستغرق فى رعاية أطفالها وبقية أفراد الأسرة؛ والوقت المستغرق في أداء مهامها الوظيفية فى سوق العمل إن كانت عاملة، وقد لوحظ بوضوح تجاهل ما يجب أن تخصصه المرأة لنفسها وتتمتع به من وقت فراغ أو راحة، وكأنه من الطبيعي ألا تحصل المرأة على مثل ذلك الوقت!!

ولأن تغذية الأطفال خاصة المواليد منهم تعتبر من أهم المهام النسائية التى يجب أن يخصص لها وقت كاف لإنجازها ولإتمامها على الوجه المطلوب، فقد لوحظ تعدد الدراسات التي تناولت ذلك الموضوع. وفي بعض تلك الدراسات تم النظر إلى الحالة الغذائية للأطفال كمتغير تابع يتأثر بمتغير مستقل يتمثل في الوقت المتاح للأم، أو الذى تقوم بتخصيصه من أجل القيام بمهمة تغذية أطفالها، هذا بينما روعى في بعض تلك الدراسات أخذ عامل آخر فرعي (يتعلق بالوقت المذكور) فى الاعتبار التحليلى وهو طبيعة استمرارية ذلك الوقت أى إن كان ذلك الوقت المتاح لتغذية الأطفال مستمراً ومنتظماً بشكل دورى وملائم كوضع صحيح مستهدف، أو كان وقتاً متباعد التخصيص أو غير منتظم في حدوثه وتوجيهه إلى الرعاية المستهدفة

للأطفال. وفي بعض الدراسات المعنية بذلك الموضوع تقرر اعتبار الوقت المخصص لعمل المرأة (خاصة خارج منزلها) هو المتغير التابع. حيث قد تضطر الأم إلى الانقطاع الكلي أو المؤقت أو الجزئي عن عملها خارج المنزل من أجل التفرغ التام لرعاية أطفالها وتغذيتهم بالشكل الملائم المنشود كوسيلة ضرورية للاستثمار الإيجابي لعمالة المستقبل، في الوقت (المبكر) المناسب. حيث أن إهمال عملية التغذية والإعداد المبكر الصحيح للطفل كي يصبح قوة عاملة إيجابية وصحيحة فى المستقبل قد يؤثر سلباً على مقدرته أو كفاءته الاستيعابية والإنتاجية في المستقبل، حيث يصبح وقت العلاج والإصلاح الغذائي والصحي للقدرات البشرية الضعيفة قد فات أوانه خاصة إذا أدى ذلك الإهمال المبكر إلى الإصابة بحالات حادة أو مزمنة من سوء التغذية (انظر على سبيل المثال: باري بوبكين وفلورينتينو سولون. ١٩٧٦؛ باري بوبكين، ١٩٨٠؛ دافانزو& دونالد، ١٩٨٣؛ كينج& روبرت، ١٩٨٣؛ جايل& جريفيث، ١٩٨٤).

وفى دراسة قديمة نوعاً ولكنها تتضمن معلومات ونتائج تحليلية عالية القيمة مقارنة بالدراسات المناظرة التى ظهرت في أوقات أحدث (وراى& آجويرى، ١٩٦٩)، قام المؤلفان بتصنيف المتغير المستقل الذي اعتبراه (وقت عمل الأم خارج المنزل) إلى نوعين، ثم تم تحليل الوضع المستهدف مع كل منهما على حدة، أحدهما يتمثل في الوقت الكامل للعمل (Full Time)، والآخر يتمثل فى العمل لبعض الوقت

أو الوقت الجزئي الذي تستغرقه الأم فى العمل (Part Time). حيث أثبت المؤلفان أن الحالة الغذائية لأطفال الأمهات العاملات لبعض الوقت أفضل من نظيرتها لأطفال الأمهات العاملات كل الوقت. حيث يدل ذلك على أن الأثر التربوى السيئ للأمهات على أطفالهن يرجع جزئياً إلى استقطاع الوقت اللازم منحه لرعاية الأطفال وقضائه (كله أو بعضه) فى أمور أخرى!

ومن منظور مختلف نوعاً ما، أوضحت دراسة حول العلاقة بين الدخل والوقت والعمالة النسائية من ناحية وبين تغذية الطفل من ناحية أخرى حقيقة هامة وهى أن هناك عنصرين رئيسيين لرفاهية الإنسان هما السلع goods والوقت time ، وأضافت تلك الدراسة بأن عنصر الوقت يمكن بدوره أن يتحول إلى دخل وبالتالي إلى سلع بإحدى وسيلتين إحداهما أن يستغل ذلك الوقت في القيام بأحد الأنشطة التكسبية فى سوق العمل الخارجي بحيث يتيح للمرأة العاملة (أو لأى إنسان عامل) فرصة اكتساب دخل وزيادته الذي يتيح بدوره فرصة الحصول على السلع المحققة لمظاهر الرفاهية المنشودة؛ كما أن هناك وسيلة أخرى مباشرة وهى أن تقوم المرأة ـ داخل بيتها ـ بإنتاج وبتوفير سلع الرفاهة والتى من أهم أشكالها الوجبات الغذائية الشهية والملائمة لاحتياجات كل فرد من أفراد العائلة (باري بوبكين، وفلورينتينو سولون، ١٩٧٦، ص١٥٦).

وبالانتقال إلى مجال آخر للتحليل الاقتصادى للوقت النسائى. نجد أن بعض الدراسات اعتبرت الوقت الذي تضع فيه المرأة مولودها وتأخذ فيه أجازات نتيجة لمتاعب الحمل؛ أو بغرض رعاية الطفل يؤثر بشكل سلبى على الطلب عليها فى سوق العمل؛ بل إنه يهدد وضعها المهني القائم خاصة في ظل التحول إلى سياسات التخصيصية التي تقوم على هيمنة القطاع الخاص الذي يهدف بدوره إلى تحقيق أكبر ربح ممكن بأقل تكاليف ممكنة بغض النظر عن المصالح الإنسانية للعاملين لديه، وبالتالي فهو يعتبر المرأة عنصراً غير مرغوباً فيه للعمل لديه لكثرة أجازاتها وتقطعها المستمر عن العمل مما يضر بمصلحته وبخط سيره الطبيعى (على سبيل المثال انظر إلى محيا زيتون، وسلوى فؤاد. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

وفى دراسة موسوعية ورائدة حول منافع العمل داخل المنزل لكل طوائف المجتمع (زينب الأشوح، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) تم التوصل إلى أن العمل الاقتصادى داخل المنزل يمكن أن يتيح للمرأة ليس فقط وقتاً كافياً لرعاية كل أفراد أسرتها بشكل كافٍ، بل أيضاً لممارسة عمل اقتصادي يدر دخلاً يفيد فى تحسين مستواها ومستوى عائلتها ويحقق طموحاتها أياً كانت. ولو أن الكتاب ـ كغيره من الدراسات ـ أغفل أيضاً أهمية العمل داخل المنزل فى إتاحة وقت فراغ أفضل للمرأة العاملة (مقارنة بالوقت الذى لا يكاد يتاح لها إذا كان عملها يتم خارج المنزل)، كما أغفل نوعاً آخراً من المنافع المرتبطة بالعمالة

النسائية داخل المنزل ويتمثل فى تمكينها من أداء ما عليها من عبادات وفروض في الأوقات المفروضة وبأداء أفضل، مما يتيح لها متعة ثلاثية الأبعاد تتمثل أول أبعادها فى إرضاء خالقها، والثاني في تقديم قدوة منظورة دائمة التواجد لجميع أفراد الأسرة، والثالث فى شحن الجانب الروحى من تكوينها الإنسانى أول بأول بدون تعريضها لمخاطر الخواء الروحى التدريجى الذي تتعرض له المرأة التي تعمل خارج منزلها وتخصص كل وقتها لذلك العمل بحيث تسارع في استغراق فضلاته في رعاية أسرتها ولا يتبقى لها بعد ذلك أى وقت لشحن روحها ولإجراء عملية الصيانة الروحية اليومية لذاتها، ذلك الذي لاشك سيؤدى في النهاية إلى زيادة إحساسها بالاضطهاد وبالتعب من مشقة ما تبذله من عمل داخل بيتها وخارجه، ثم بالاستمرار فى التذمر وفى التشاحن الذى يؤدى في نهاية الأمر إلى التفكك العائلى الذي لا يخفى على أحد أنه أصبح ظاهرة عالمية معاصرة.

أما المثير حقاً، فإن الرأى الغربى، وغير المسلم أصبح يتجه هو أيضاً لتشجيع العمالة المنزلية واعتبارها الشكل الأفضل اقتصادياً واجتماعياً وصحياً، بل وتم اعتبارها وسيلة ملائمة لكثير من الفئات التى تواجه مشكلة العمل خارج المنزل حتى وإن كانوا رجالاً مثل هؤلاء الذين اضطروا إلى التقاعد المبكر وكبار السن.

وفى هذا الصدد نذكر على سبيل المثال ما صرح به رونالد إيرنبرج وروبرت سميث (١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٣٥٣، ٣٥٤) من

أن العمل المنزلى والعمل السوقى يعتبران (بديلين) مما يوحى بأنهما لا يجدان فرقاً في متضمنات ومنافع كل منهما وأنهما لا يجدان تمييزاً لأحدهما على الآخر. ولكنهما أضافا حقيقة بالغة الأهمية ـ وذلك ما يعنيناـ وهى أن العمل السوقى ووقت الفراغ يعتبران (بديلين) تقريباً. وعدم تحديدهما للعمل المنزلى كبديل لوقت الفراغ يعنى ضمناً أنه لا يؤثر تأثيراً معنوياً عليه ولا يؤدى إلى الانتقاص الضار بما يتضمنه من منافع. ويقر هذان العلمان الأمريكيان (الذين يعملان أساتذة اقتصاد بجامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية) بأنه إذا عملت المرأة بالسوق فإنها ستضطر إلى استخدام مربية أو عاملة نظافة لإعانتها على استكمال ما لا يتيح وقتها بالقيام به من أعمال منزليةـ أما إذا كانت تعمل داخل منزلها فهى ـ على حد قولهماـ ستوفر ما تقوم بدفعه للآخرين وسيحدث تحسن كبير في عملية تخصيصها للوقت المتاح.

وعلى نفس الدرب، يؤكد أحد علماء الاقتصاد الصينين في دراسة له (حول أثر العمالة النسائية على تفاوت الدخل الأسرى مع التركيز على هونج كونج)؛ على أن العمل داخل المنزل ووقت الفراغ المتاح للمرأة التي لا تعمل خارج منزلها ينطويان على دخل غير مباشر خاصة لأنه معفى من الضرائب tax free. ويلاحظ فى تصريحه هذا بأنه يتفق ـ ضمنا مع العالمين السابقين فى النظر إلى العلاقة بين الوقت المستغرق فى العمل داخل المنزل من ناحية؛ وبين وقت الفراغ للمرأة التي لا تعمل خارج منزلها ـ من ناحية أخرىـ وهي علاقة تداخلية أو

تكاملية وليست علاقة تبادلية مثل الحال عند العمل خارج المنزل (سيويت لينج، ١٩٩١م، ص١٤٧).

والواقع أن تخصيص الوقت وأهمية استغلاله لجميع أفراد الأسرة ــ وليس للمرأة وحدها ـ مازال موضوعاً مهملاً في الدراسات المتخصصة على الرغم من أننا يمكن أن نعتبره نموذجاً جوهرياً إن صح استغلاله وتخصيصه وتوجيهه داخل المنزل ولكل أفراد الأسرة فسوف نضمن أن يصح استغلاله وتخصيصه بالتبعية خارج المنزل ولكل أفراد المجتمع، فالأسرة هي نواة المجتمع وأفرادها جزء من أفراده لذا فإن اللوم يوجه بشدة للعلماء المتخصصين الذين يتجاهلون ذلك المجال بالغ الأهمية ولا يتناولونه إلا بشكل عرضي أو ضمني كأفكار متناثرة داخل موضوعات أخرى رئيسية تستخدم كصلب للتحليل وللتقصي.

وعند هذا الحد نود التوقف وكبح جماح رغبتنا في الاستطراد والتوغل في تلك المجالات بالغة الأهمية والتي يصعب أن نتبصر لها نهايات محددة. ولنهرع للواذ بالمعالجة الإسلامية المستنبطة من العلم الإلهي النموذجي في محاولة للاسترشاد بأضوائها المنيرة لتحديد خط السير الصحيح على درب استغلال الوقت المتاح للإنسان وكيفية ترشيده بأفضل الوسائل الممكنة. هيا إذن للتعرف على تلك المحاولة التي يتم تقديمها في الفصل التالي الذي نقف على مشارفه.